تفسير كلّ آية بجملة

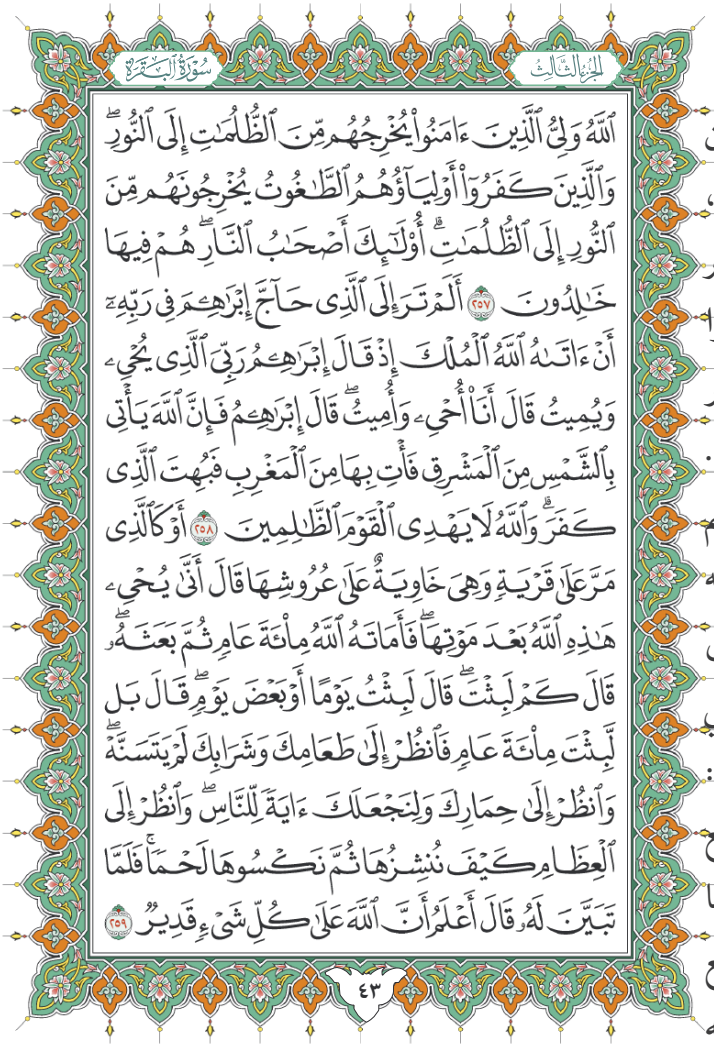

﴿٢٥٧﴾ الله متولّي شؤون المؤمنين وناصرهم، يخرجهم من ظلمات الشكّ والحيرة إلى نور الحقّ والإطمئنان، والكافرون بالله تستولي عليهم الشّياطين ودعاة الشّر والضّلال، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذي فُطروا عليه والذي وضح بالأدلّة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد، هؤلاء الكافرون هم أهل النّار مخلّدون فيها.

﴿٢٥٨﴾ ألم تر إلى من عمي عن أدلّة الإيمان وجادل إبراهيم خليل الله في ألوهيّة ربّه ووحدانيّته، وكيف أخرجه غروره بملكه- الذي وهبه ربّه- من نور الفطرة إلى ظلام الكفر، فعندما قال له إبراهيم: إنّ الله يحيي ويميت، بنفخ الرّوح في الجسم وإخراجها منه، قال: أنا أحيي وأميت بالعفو والقتل، فقال إبراهيم ليقطع مجادلته: إنّ الله يأتي بالشّمس من المشرق فأت بها من المغرب إن كنت إلهًا كما تدّعي. فتحيّر وانقطع جدله من قوّة الحُجّة التي كشفت عجزه وغروره، والله لا يوفّق المصرّين المعاندين لاتّباع الحقّ.

﴿٢٥٩﴾ ثمّ تَدَبَّرْ يا مُحَمَّد في مثل هذه القصّة العجيبة، قصّة العُزير الذي مرَّ على قرية متهدّمة سقطت سقوفها وهدّمت حيطانها وهلك أهلها، فقال: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتهم؟ فأماته الله وأبقاه على موته مائة عام، ثمّ بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزيل استبعاده، ثمّ سئل أيّ مدّة مكثتها ميتًا؟ قال- غير مدرك لطول المدّة -: قد يكون يومًا أو بعض يوم، فقيل له: بل مكثت على هذه الحالة مائة عام، ثمّ لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له: فانظر إلى طعامك لم يفسد، وإلى شرابك لم يتغيّر، وانظر إلى حمارك أيضًا، وقد فعلنا ذلك لتعاين ما استبعدته من إحياء بعد الموت، ولنجعلك آية ناطقة للنّاس تدلّ على صدق البعث، ثمّ أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء، وكيف يركّب عظامها، ثمّ يكسوها لحمًا، ثمّ ينفخ فيها الرّوح فتتحرّك، فلمّا وضحت له قدرته وسهولة البعث، قال: أعلم أنّ الله قادر على كلّ شيء.

الآيتان ٢٥٦-٢٥٧

منع الإكراه على الدّين والله هو الهادي إلى الإيمان

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم ٢٥٦ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٥٦): عَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ، قَوْلُهُ: "﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ الْحُصَيْنُ؛ كَانَ لَهُ ابْنَانِ نَصْرَانِيَّانِ، وَكَانَ هُوَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا أَسْتَكْرِهُهُمَا فَإِنَّهُمَا قَدْ أَبَيَا إِلَّا النَّصْرَانِيَّةَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ ذَلِكَ»"[١].

وفي رواية: أنه حاول إكراههما: " فَلَزِمَهُمَا أَبُوهُمَا وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَدَعُكُمَا حَتَّى تُسْلِمَا، فَأَبَيَا أَن يُسْلِما، فاختصموا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَدْخُلُ بِعْضِي النَّارَ وَأَنَا أَنْظُرُ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فَخَلَّى سَبِيلَهُمَا" .[٢]

عن ابن عبّاس ﷺ، قال: "كانت المرأةُ تكونُ مِقْلاتًا، فتجعلُ على نفسِها إن عاشَ لها ولدٌ أن تُهَوِّدَهُ، فلمّا أُجليتْ بنو النَّضيرِ كان فيهم من أبناءِ الأنصار، فقالوا: لا ندَعُ أبناءنا، فأنزل اللهُ ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾"[٣].

سبب نزول الآية (٢٥٧): عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: "هُمُ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ آمَنُوا بِهِ، وَأُنْزِلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ" [٤].

المناسبة: حدّدت آية الكرسيّ ما يتّصف به الله ﷻ من تفرّد بالألوهيّة والمُلك والسّلطان في السّموات والأرض، والحياة، والقيام بأمر الخلائق دون عناء ولا مشقّة، وإحاطة العلم بكلّ شيء، فلا يصحّ بعدئذ أن يكون هناك إكراه على الدّخول في الدّين؛ لأنّ الفطرة، والمشاهدات الكونيّة، والفكر السّليم تهدي إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيّته والاقتناع بالإسلام دينًا ومنهج حياة.

المعنى العام

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ خبر بمعنى النّهي، أي لا تكرهوا أحدًا على الدّخول في دين الإسلام، فإنّه بيّن واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرَه أحد على الدّخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته، دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنّه لا يفيده الدّخول في الدّين مُكرهًا مقسورًا.

(١) ذكره الطبري في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ج٤، ص٥٤٧.
(٢) ذكره الواحدي في اسباب نزول القرآن، ج١، ص٨٦.
(٣) رواه أبو داود في سننه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢٦٨٢، كتاب: الجهاد، باب: في الأسير يكره على الإسلام، الحديث إسناده صحيح.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره، عن عبدة بن أبي لبابة، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنوا﴾، ج٤، ص٥٦٥.

وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنّ هذه الآية محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النّسخ والتّبديل إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وأنّه يجب أن تُدعى جميع الأمم إلى الدّخول في الدّين الحنيف دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدّخول ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتّى يُقتل، وهذا معنى الإكراه. فعنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: ﴿أَسْلِمْ﴾ قَالَ: أَجِدُنِي كَارِهًا. قَالَ: ﴿أَسْلِمْ، وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا﴾[1].

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ فمن خلع الأنداد والأوثان، وخلع طرق الدّجال من العلمانية والظنّ بأنّ الأسباب هي التي تؤثّر، وما يدعو إليه الشّيطان من عبادة كلّ ما يُعبد من دون الله، ووحّد الله فعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا الله وأنّه لا فاعل الا الله وأنّه لا مؤثّر إلا الله، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ من الدّين بأقوى سبب ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ قال مجاهد: "العروة الْوُثْقَى يَعْنِي الْإِيمَانُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الْإِسْلَامُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: العروة الْوُثْقَى الْقُرْآنُ. وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: هُوَ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ، وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها"[2]. وقد شبّه تعالى ذلك بالعروة القويّة التي لا تنفصم، فهي في نفسها محكمة مبرمة، ورَبْطُها قويٌّ شديد، ولهذا قال: ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا انقطاع لها دون دخول الجنّة، لأنّ المستمسك بها قد ثبت في أمره، واستقام على الطّريقة المثلى والصّراط المستقيم. فعَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: "كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِنْ خُشُوعٍ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَوْجَزَ فِيهِمَا، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا خَرَجَ اتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثْتُهُ فَلَمَّا اسْتَأْنَسَ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا دَخَلْتَ قَبْلَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ؟ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَايَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَذَكَرَ مِنْ خُضْرَتِهَا وَسَعَتِهَا، وَسْطَهَا عَمُودُ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: اصْعَدْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: هُوَ الْوَصِيفُ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَقَالَ: اصْعَدْ عَلَيْهِ، فَصَعِدْتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَالَ: إِسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿أَمَّا الرَّوْضَةُ فَرَوْضَةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعَمُودُ فَعَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى أَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ﴾ قَالَ: وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ"[3]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لا يغيب عن سمعه شيء، يحيط علمه بكلّ شيء.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٥٧﴾.

يخبر الله تعالى أنّه يهدي من اتّبع رضوانه سبل السّلام، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالله محبّ ومتولّي أمور الذين آمنوا، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والجهل والشكّ والرّيب، ومتابعة الهوى وقبول الوسواس، والشُّبَه المشكلة في التّوحيد، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى نور الحقّ الواضح الجليّ المبين السّهل المنير، نور الإيمان واليقين، وصحة التّوحيد، ومتابعة الدّاعي إلى الله، وأمّا الكافرين فوليّهم الشّيطان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ﴾ أي أحباؤهم ﴿الطَّاغُوتُ﴾ أي الشّيطان، سواء شيطان الجنّ وهو إبليس أو شيطان الإنس وهو الدّجال، والطّاغوت كلّ ما عبد من دون الله، وهو يشمل كلّ شرّ كان عليه أهل الجاهليّة، من عبادة الأوثان، والتّحاكم إليها، والاستنصار بها، وكلّ ما استهواهم من دواعي الكفر، أو المضلّات من الهوى، يزيّنون لهم ما هم فيه من الجهالات والضّلالات. عن عمر رضي الله عنه، قال: "الجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ"[4].

(١) رواه أحمد في مسنده، عن أنس، حديث رقم: ١٢٠٦١، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أنس بن مالك رضي الله عنه، الحديث إسناده صحيح.
(٢) ذكره إبن كثير في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ٢٥٦، ج١، ٥٢٣.
(٣) رواه أحمد في مسنده، عن قيس بن عباد، حديث رقم: ٢٣٧٨٧، مسند: أحاديث رجال من أصحاب النّبيّ ﷺ، مسند: عبد الله بن سلام، الحديث صحيح.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عمر، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَإِنْ كُنتُم مَرضَى أو على سَفَرٍ﴾.

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ الذي مُنحوه بالفطرة الأصليّة، ويصدّونهم من الدّخول في الإيمان ويحيدون بهم عن طريق الحقّ ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ﴾ إلى ظلمات الكفر والجهل والإفك، والتّقليد الرديء، واتّباع الهوى، باستيلاء الشُّبَه على قلوبهم، فيجحدون الرّبوبيّة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أولئك الذين بقوا على الباطل بقاء أبديًّا، بسبب نيّاتهم البقاء على الكفر إلى الممات. ولم يذكر في جانب المؤمنين دخول الجنّة لتكون عبادتهم عبوديّة، لا خوفًا ولا طمعًا. وقد وحّد تعالى لفظ ﴿ٱلنُّورِ﴾ وجمع ﴿ٱلظُّلُمَاتِ﴾؛ لأنّ الحقّ واحد، والكفر أجناس كثيرة وكلّها باطلة.

قيل في: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾.

- يخرجهم من ظلمات تدبيرهم إلى سعة شهود تقديره.
- يخرجهم من ظلمات ظنونهم، أنّهم يتوسّلون أو يَصِلُون إليه بشيء من سكناتهم وحركاتهم.
- يخرجهم من ظلماتهم بأن يرفع عنهم ظِلّ أنفسهم ويدخلهم في ظلّ عنايته.
- يخلّصهم عن حسبان النّجاة بهم.
- يحول بينهم وبين الإعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيتين:

١. لا يُكره أحد من غير المسلمين، سواء أهل الكتابين ومن في حُكمهم، كالمجوس والصّابئة على الدّخول في الإسلام إلّا باختيارهم.

٢. لا يقبل إسلام من أسلم إلّا اذا كان طائعًا مختارًا معتقدًا اعتقادًا جازمًا لا شكّ فيه، بكلّ ما ورد في القرآن الكريم من عقائد وأحكام وأخلاق و غيره.

٣. الإسلام كلّه رشد، وما عداه ضلال وباطل.

٤. التّخلّي عن الرّذائل مقدَّم على التّحلّي بالفضائل.

٥. معنى لا إله إلّا الله: الإيمان بالله وبجميع أسمائه الحسنى.

٦. الطاغوتُ هو كلّ ما يشغل المؤمن عن ربّه، ويدعوه أن يعتمد على غير الله، وأن يحتكم إلى غير شرعه.

٧. الله تعالى وليّ الذين آمنوا، فهو يتولّاهم ويحفظهم ويرشدهم ويتولّى جميع شؤونهم، فنُصْرة الله تعالى ورعايته لأوليائه دون أعدائه.

٨. من أعرض عن الله تعالى تولّاه الطاغوت وهو الدّجال من الإنس وإبليس من الجنّ، فصار يدلّه على نفسه وهواه وما فيه شقاؤه في الدّنيا والآخرة.

٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النّبيّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٣٨٥، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين.

من أسماء الله الحسنى: السّميع العليم (سبق ذكرهما)

من أسماء الله الحسنى: الوليّ

الوليّ هو مالك التدبير، ولهذا يُقال للقيّم على اليتيم وليّ اليتيم وللأمير الوالي أي هو ولي أمرك عندما تكون طفلاً فأنت بحاجة إلى ولي أمرك أي يدبّر لك الأمور يهتم بتربيتك وبكل شؤونك وينصرك ويعينك، فهو وليّ أمرك كما يكون الوالد لابنه فالله تعالى إذا تولاك إهتم بجميع شؤونك، ووليّ أمرك يبقى يهتم بك طالما أنت بحاجة له فطالما أنت صغير أو تعاني من إعاقة فإنّك تحتاج لولي أمر أو وصي أو ما شابه وعندما تصبح قادرًا أن تهتم بشؤونك في عمر الثمانية عشر أو العشرين، فالله سبحانه وتعالى يتولّاك فأنت معترفٌ بضعفك ومعترفٌ بعجزك ومعترفٌ بجهلك، وطالما أنت معترف بضعفك وعجزك وجهلك وتطلب من الله تعالى أن يتولّاك فالله يتولّاك وعندما تظن نفسك أنك تفهم وصرت قوّيًا قادرًا على أن تدبر أمورك بنفسك، فالله يكلك إلى نفسك لذلك أخبر النّبيّ ﷺ أحبّ الخلق إليه السيدة فاطمة رضي الله عنها، فقال لها: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ؟ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

فهو يقول لسيدتنا فاطمة رضي الله عنها بهذا الدعاء الجامع المانع ابقي دائماً فقيرة إلى الله، من الذي يستغيث؟ الذي يستغيث هو الضعيف الفقير المريض العاجز يستغيث، فدائماً أنت تستغيث بالله وهذا الشعور من العجز والضعف والجهل، أصلح لي شأني كله أي أنا يا ربي بحاجة لك في كل شيء أي عكس كلمة (فقط) أي أن تقول يا رب أنا فقط أريد منك كذا ولكن هنا تقول يا رب أصلح لي شأني كله أي أصلح لي ديني وأصلح لي دنياي وحياتي وأصلح لي أولادي وبيتي وصحتي ومالي وتجارتي وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أي يا ربّي لا أثق بنفسي وأنا لا أثق إن كان الشيطان سيُغويني أم لا وإن كانت نفسي ستتغلب علي أم لا فلذلك يا رب لا تتركني طرفة عين، مثل الولد الصغير الذي يستغيث بأمه ويقول لها لا تتركيني فالأمّ الذي يستغيث طفلها الصّغير بها وترى حاجته إليها فإنّها تضمه لها وتبقيه معها، أمّا عندما يقول لها اذهبي وأنا أتدبر أموري فتذهب وتتركه وتمشي، فهنا أنت تطلب من الله وتقول لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فتقول هذا الدعاء صباحًا مساءً، وهذا الدعاء لا يقوله ولا يواظب عليه إلا من سار طريق الولاية فطريق الولاية هو أن تعترف بعجزك وبضعفك وجهلك وأنك قد تقع بالذنوب والأخطاء والمعاصي فتستغيث بالله تعالى على أن يهديك و يصلحك و يصرف عنك وساوس الشيطان و يصلح لك أمر دينك وأمر دنياك وجميع شأنك فأنت لست قادرًا على شيء إلا بالله، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

إياك نعبد فأنت استغثت بالله عز وجل، وإياك نستعين بدأت تبدأ بالخطوات الأولى التي طلبها الله منك من تعاطي الأسباب لك وأنت تبدأ بها أنت مستعين بالله، عندما حدثت حروب الرّدة في الحضارمة -أي في حضرموت بتريم وعذب وسيوم-، رحل آل البيت وسكنوا عندهم بدعاء أبي بكر الصّديق رضي الله عنه لأنّهم لم يرتدوا فدعا لهم أبو بكر رضي الله عنه قال: اللّهُمَّ أنبت فيهم الأولياء كما ينبت البقل في الأرض أي أن البقل ينبت بكثرة فذهب أولياء الله الصّالحين من أهل البيت وسكنوا هناك فدرجت عادات عندهم موروثة من معاني عقلية جميلة وهي بسم الله أي كل أمرٍ ذي بال

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

لا يبدأ فيه بسم الله فهو أجذب، أي بسم الله أمشي وبسم الله أشرب وبسم الله أتصرف وكل شيء بسم الله، بسم الله أي إياك نعبد وإياك نستعين فأنا أشرب مستعيناً بالله، فإذا لم أستعن بالله تعالى أتشردق ولا يدخل هذا الماء وإذا أردت أن أفتح الباب أقول بسم الله الرحمن الرحيم، ورأينا عندما يمرض الإنسان أنه لا يستطيع أن يفتح باب وإذا أردت أن أختار أي شيء أقول بسم الله الرحمن الرحيم، إياك نعبد وإياك نستعين هذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم، فهؤلاء حتى يضموا باسم الله الرحمن الرحيم من لغتهم العامة فكل أفعالهم بهذه الحضارة تبدأ بحرف الباء فيقولون " بنشرب وبنذهب وبنأكل " ومعنى ذلك أي بالله نشرب وبلله نذهب وبالله نأكل، فأدخلوا حرف الباء بلغتهم العامية إشارة إلى إياك نعبد وإياك نستعين، فإذا عشت معاني إياك نعبد وإياك نستعين فتمشي على طريق الولاية.

فالولي هو من سلّم أمره كله لله واعتبر نفسه كالطفل الصغير أمام والديه فهو اعتبر نفسه كالطفل الصغير أمام الله تعالى ويحتاج إلى الله في جميع شؤونه وفي تدبير أموره، لذلك من سلك طريق الولاية يستخير الله دائماً لأن الاستخارة تعني أنك تعترف بجهلك وإذا لم تفعل استخارة معنى ذلك أن تفهم وتعرف مصلحتك وتتصرّف فقد وكلك الله إلى نفسك، أما إذا استخرت الله تعالى في كل شؤونك وكل كبيرة وكل صغيرة وبصلاة وبلا صلاة.

التّعلُّق باسم الله تعالى الوليّ:

باستنصاره على نفسه وهواه وعلى كل ما يحول بينه وبين حضرة مولاه حتى يكلأه برعايته ويتولاه بحفظه وعنايته ويفوض أمره كله إليه، أي باختصار ما كنا نتكلم فيه، مثل دعاء سيدتنا فاطمة: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أي قل اللّهم تولني فيمن توليت وقل اللّهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير وأغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري وتفعل استخارة في كل أمورك وشؤونك وتلجأ إلى الله كما يلجأ الطفل الصغير إلى والديه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1]

فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكراً أي اذكروا الله كذكر الأطفال لآبائهم أو أشد ذكراً، لأن الطفل الصغير عندما يحتاج شيئًا ان ينادي فوراً يقول بابا أو ماما، وأنت عندما تحتاج شيئًا يجب أن تقول يا الله يا رب، هكذا يقول لك الله هذا الذكر فأول شيء يخطر ببال الطفل الصغير عندما يحتاج شيئًا ان ينادي أمه وأباه ويستنجد ويستنصر ويستقوي بهما، وأنت عليك أن تتشبه بالطفل الصّغير أمام خالقك وليس أن تفعل جهدك وعندما لا تسير أمورك تقول يا الله، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ هذا هو التّعلُّق باسم الله الولي.

ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]

مجنون ليلى في مرة من المرات رأوه بالصحراء والناس عطشى وكل واحد معه ماء يحافظ عليه، فمر كلب فسقاه الماء الذي عنده، فجُنّوا أنه يسقي الكلب الماء الذي عنده فأنشد قائلاً:

رأى المجنونُ في البيداء كلباً ... فمدَّ له مِن الإحسان ذيلا

فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لمَ منحت الكلبَ نَيلا

فقال دَعُوا المَلامَةَ إنَّ عيني ... رأته مرّةً في حيّ ليلى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

فهو لأنّه رآه مرة في حي ليلى آثره وأعطاه ماءه وسموه مجنون ليلى، وقال بعض أهل الله وقد رآه بالرؤيا ماذا فُعل فيه؟ قال غفر الله له وجعله حجة على المحبين، فإذا كنت تحب الله هل كنت تفعل كما كان يفعل مجنون ليلى مع ليلى، هذا حب مخلوق لمخلوق وأين قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، فإذا كان مخلوق يحب مخلوقاً بهذه الطريقة فأين ادعاءك بأنك تحب الله تعالى، فقالوا لذلك غفر الله تعالى لمجنون ليلى وجعله حجة على من يدّعي الحب لله تعالى والحب لرسول الله ﷺ.

ومن علامة ولاية الله لك أنك إذا هممت بمعصية صرفها عنك، فتكون أنت ذاهب لتفعل معصية فيصرفها الله عنك مثلما صرف الله النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان صغير وذهب ليحضر عرساً، فنام النّبي عليه الصّلاة والسّلام ولم يستيقظ إلا وقد أشرقت الشمس فيتولاك الله، هذه من ولاية الله ومن تولي الله لهذا الأمر، وهكذا تولى الله أولياءه وأحباءه فيصرفك عن المعصية بأن يبعث لك ظرف معين فيصرفك، فيكون الشخص صار عنده فتور عن طاعة معينة فيتساهل بها قليلاً فيجعله الله تعالى وهو يقلّب في التلفاز أن يسمع كلام ويرجع إليها، فالله لا يكله إلى نفسه، هذا معنى دعاء لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

ومن معاني تولي الله تعالى لنبيه عليه الصّلاة والسّلام أن الله اختار له، تخيل أنّ هذا نبيُّه احبُّ خلقِهِ إليهِ اختار له أن يموت والده وهو في بطن أمه وأن تموت أمه وهو ابن ست سنين وأن يموت جده وهو ابن ثماني سنين، هل رأيت يتيمًا نشأ على مبدأ موت الأحبة؟ فهو أحبّ جدّه وتعلق فيه فبعد وفاة أمه جلس سنتين عند جده وكان يكرمه ويعزه كثيراً ثم رآه يتوفى وأباه قد توفى وأمه توفت أمام ناظريه وجده توفى أمام عينيه، ماذا حدث بهذا اليتيم؟ الله طهّر قلبه من الاعتماد على سواه وحتى الاعتماد على الوالدين والاعتماد على الجد، الله أحبّه وأراد أن لا يعتمد إلّا عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[1].

فالله آواه، لا تشعر بالشفقة على النَّبيّ ﷺ لفقدانه أمّه وبكائه عليها، أم أنّه كان يعاني من اضطرابات نفسيّة، لا بل هذا الحنان وهذه الرأفة وهذه الرحمة التي يجدها الولد من أمه الله كفاه إياها وأعطاه أزود منها مرات عديدة، ولكن هذا شعور الحاجة للأم عند الإنسان، خلقه الله. والله يخلق له شعورًا لم يفقده النّبيّ ﷺ بل رزقه الله الأُنس والحنان والرأفة والرّحمة من عنده سبحانه، فهذا الشّعور بالحبّ والحنان والرّحمة ليس من الأم فالأم سبب كحبة الدواء، فالأم ما تفعله فيك من مشاعر جميلة هي سبب خلقها الله هكذا حتى تحبّ أمّك وتعرف فضل الأم وتعرف ما معنى فضل الله، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2].

لكن الله سبحانه وتعالى قادر أن يجعل فيك شعور حنان الأم ورحمة الأم والأُنس بالأم من غير أن تكون الأم موجودة وتكون ميتة، فهو قادر أن يفعل ذلك وأضعاف أضعافه لأن الله هو الكافي، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[3]. فخلق في قلب نبيه ﷺ من معاني الأُنس بالله والحنان فهو الحنّان جل في علاه والرأفة والرحمة ما أغناه عن والديه ولم ينشأ ﷺ معقدًا أو عنده مشاكل نفسية بل كامل مكتمل، بالعكس كان صلى الله عليه وسلم هيّنًا ليّنًا سمحًا طيّبًا

(١) سورة الضحى، الآية: ٦. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣. (٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

لأن الله تعالى تولاه قال له ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾، فهو الذي آواه وأي إيواءٍ هو إيواء الله؟ فالجنّة اسمها جنّة المأوى لأن إيواء الله في الجنّة فيشعر أهل الجنّة بسلام وأمان وطمأنينة فهذا مأوى الجنّة، فكيف إذا كان المأوى هو مأوى الله؟ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[1].

فمن علّمه؟ هذا من ولاية الله له، قال رسول الله ﷺ: «أَدَّبني ربّي فأحسَنَ تأديبي».

فالله اختار ألا يكون عنده ابٌ وأم يؤدّبانِهِ لأن الأم والأب على علو مقامهم أفضل أهل زمانهم، أدبهم ليس كامل فكيف يمكنهم أن يؤدبوا من هو الأكمل من مخلوقات الله أجمعين؟ فلا أحد يستطيع أن يؤدب النبي ﷺ ويأخذ هذه المسؤولية فتولاها الله بنفسه، فماتت أمه ومات أبوه ومات جده وأدبه ربه، وكذلك العلم فالله تعالى أنشأ النبي ﷺ أُمّي أُمِيًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة لأنه من يريد أن يعلمه أي شخص سيكون علمه ناقص في الطب وفي الاجتماع وفي اللغة فلا يوجد أحد علمه كامل في البشر فيظهر النَّبيّ ﷺ علمه ناقص بنقصان أستاذه، فالله تعالى أراد نبيه أُمّياً لا يقرأ ولا يكتب وقلبه صافي ثم في الأربعين علّمه الله تعالى علوم الأولين والآخرين وما من علم بالطب والهندسة والتجارة والاجتماع والشرع والدين والحساب والكيمياء وعلم الأولين من لدن آدم عليه السلام إلى علم الآخرين وأهم أطباء العيون في زماننا وإلى قيام السّاعة ومن قبل اجتمعت علومهم بعلم النَّبيّ ﷺ في طب العيون وكذلك طب الجهاز الهضمي وكذلك الهندسة والجيولوجيا وعلم الفلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2].

أي يا محمّد أنظر ربك كيف تولاك، وأنت أيضًا من باب التعلّق باسم الله الولي ومن باب التخلّق باسم الله الولي أن تحسن تولية أولادك فأنت ولي أمرهم، وانظر إلى ربك سبحانه تعالى لا يعطينا كل شيء نريده وهو ولي أمرك وربك والنبي ﷺ منع الله عنه كثيرًا من الأشياء، لكن منعه عين العطاء وذات الشيء مع أولادك ليس كل شيء يطلبوه تعطيهم إياه لكن عندما لا تعطيهم يكون مبتغاك من ذلك أن تعطيهم لا أن تمنعهم ولكنك تربيهم ليكونوا أفضل ما يكونوا، فحسن تربيتك لأولادك من التخلّق باسم الله الولي، وحسن تربيتك وإحسانك وكفالتك للأيتام، وذلك المقصود من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3].

فأعطاه كيف يتعلّق باسمه الولي وأعطاه كيف يتخلّق باسم الله الولي، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فلا تحدّث نفسك إلّا بنعم الله عليك.

دعاء النّبيّ ﷺ لمّا عاد من الطائف وقد ذكرناه ولكن هنا يوجد إشارة لشيء معين، لمّا النبي ﷺ ذهب للطائف وتكلم مع ساداتها وصدّوه فقال لهم النبي ﷺ صددتموني ولكن أرجو ألا تخبروا سادات قريش أنكم صددتموني لأنه إذا وصل الخبر لقريش أنكم صددتموني لن يدخلوني إلى مكة، فهم فأخبروا قريشًا فسلّطوا عليه صبيانهم ومجانينهم وأذاعوا الخبر ورموه بالحجارة وأدموه وكان وضع النبي ﷺ صعبًا جدًّا حتى أنّه وصفه علماء السِّتير والتاريخ أنه أكثر وقت مؤلم حصل بكل تاريخ دعوة، فوقف ﷺ يدعو بهذا الدعاء وهو التعلق باسم الله الولي، «اللَّهمَّ إليكَ أشكو ضَعفَ قوَّتي وقلَّةَ حيلَتي وَهَواني علَى النَّاسِ أنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ أنتَ ربُّ المستضعفينَ وأنتَ ربِّي إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجَهَّمُني أَمْ إلى عدُوٍّ ملَّكتَهُ أمري إن لم يَكُن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ هيَ أوسعُ لي أعوذُ

(١) سورة الضحى، الآيتان: ٦- ٧.
(٢) سورة الضحى، الآيات: ٦- ٨.
(٣) سورة الضحى، الآيات: ٩- ١١.

بنورِ وجهِكَ الَّذي أشرَقت لهُ الظُّلماتُ وصلُحَ عليهِ أمرُ الدُّنيا والآخرةِ أن يحلَّ عليَّ غضبُكَ أو أن ينزلَ بي سخطُكَ لَكَ العُتبى حتَّى ترضى ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بِكَ»، أي أنت وليي يا رب إلى من تكلني إلى هؤلاء النّاس؟ إلى قريبٍ ملّكتَه أمري أي أن أهل مكة قريبين ولكنَّهم أعداء ومسيطرين، إلى من تكلني أي أنت وكيلي ولا أتوكل إلا عليك أنت وليي يا رب، إن لم يَكُن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي أي الرسول ﷺ أي يدعو الرّسول ربّه لربّما الذي حدث معه بسبب تقصيره ولربما لأن الله غاضب عليه، حاشاه وكلّا، بل أنّ هذا الوضع الذي فيه كطفل صغير وقع في ورطة وجاء إلى والدته يقول لها ساعديني وهي لم تساعده أولاً وهو يتكلم معها ويقول أنا من عندي غيرك؟ الولد الفلاني ضربني والأستاذ ضربني وهذا كذبني وأنا من عندي غيرك تتركيني لوحدي ولكن إذا كنتِ غاضبة مني بالنسبة لي أسوء بكثير من الأستاذ الذي ضربني فلا يهمني شيء ويهمني أنتِ ألا تكوني غاضبة مني، فعندما يتكلم الولد هكذا تعلم الأم كم يحبها ولدها، فهذا خطاب لرب العالمين بأنه يا رب لا تكلني إلى غيرك وإذا وكلتني إلى نفسي أو إلى أعدائي في هذه اللحظة لأنني مخطئ بحقك وأنت غاضب مني يا رب فإني أستغفرك يا رب ليس لي غيرك، هذا الدُّعاء من أجمل ما يكون بالتعلّق باسم الله تعالى الولي.

من آمن بشيء فقد كفر بنقيضه:

وحيث كان الإيمان والكفر أمرين متناقضين لا يمكن الجمع بينهما؛ كان كلّ مؤمن بالحقّ كافرًا بالباطل، وكان كلّ مؤمن بالباطل كافرًا بالحقّ لا محالة.

ولقد قرّر القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟[2]

لا نُكره أهل الكتاب على الدّخول في الإسلام، إذا أدّوا الجزية. ويستدلّ لذلك، بأنّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال لِعَجُوزٍ نَصْرَانِيَّةٍ: " أَسْلِمِي أَيَّتُهَا الْعَجُوزُ تَسْلَمِي، إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، فَقَالَتِ: أَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ وَأَمُوتُ عن قَرِيبٍ، فَقَالَ عُمَرُ اللهمَّ اشْهَدْ، ثمّ تَلَا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وبالإجمال، فمعنى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي أنّنا، إن أكرهنا النّاس على الدّخول في الإسلام، فلا نعلم حقيقة إيمانهم في قلوبهم، الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى..

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- واظب على صلاة الاستخارة في جميع أمورك الدّنيويّة، والأولى أن تصلّي كلّ يوم ركعتيّ الاستخارة، وحسنًا لو تبدأ اليوم حتّى يختار الله لك ويتولّاك، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، عن ابن عباس، حديث رقم: ٤٠٨٦، النوع الرابع والستون، ذكر الأخبار عن الحالة.

في الأخلاق والآداب

التخلّق باسم الله تعالى السّميع العليم (سبق ذكرهما)

التوجيهات:

- الإيمان والعمل الصّالح يحقّقان لك ولاية الله سبحانه، والفسق والغفلة عن ذكر الله تجلبان ولاية الشّيطان والعياذ بالله، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

الحكمة: أرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فما قامَ بِهِ غيرُكَ عنْكَ لا تَقُم بِهِ أنت لنفسِكَ"[1]

في السّيرة والشّمائل

كيف كان تعامل عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل بيت المقدس، وما هي العهدة العمريّة؟

لم يجبر الإسلام من تحت ولايته على الدّخول فيه؛ فإنّه يكون بذلك قد ترك النّاس أديانهم ومُعتقداتهم، وأوّل مقتضياته حرية لشعائر ممارسة الآخرين لعباداتهم، وضمان سلامة دور العبادة.

وهذا بالفعل ما ضمنه المسلمون في عهودهم التي أعطوها للأمم التي دخلت في ولايتهم أو عهدهم، فقد ضمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نحوه في العهدة العمريّة التي كتبها لأهل القدس، وهي لم تزل محفوظة في بطريركيّة الرّوم الأرثوذكس في القدس الشّريف، وهذا نصّها:

"بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها، أنّه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللّصوص، فمن خرج منهم فإنّه آمن على نفسه وماله حتّى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلي بِيَعهم وصلبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتّى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرّوم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنّه لا يؤخذ منهم شيء حتّى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بْن الوليد، وعمرو بْن العاص، وعبد الرحمن بْن عوف، ومعاوية بْن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة."

فقد تعامَل عمر بن الخطّاب ﷺ على مبدأ أن يبقى كلّ مَن هو مِن غير المسلمين على دينه، بشرطِ أن يدفع للدّولة الإسلاميّة الجِزية، وفي المقابل تقوم الدّولة بتأمين الحماية لهم، واحترام ما يتعلّق بدينهم من الشّعائر والمعابد وغيرها، وكان هذا نهجه رضي الله عنه في التّعاملِ مع أهل بيت المقدس، وأعطى الأمان للبطريرك صفرونيوس ولجميع رعايا الكنيسة والعاملين فيها من الرّهبان والرّاهبات والقساوسة، وشمل هذا العهد الأماكن التي يرتادونها من الكنائس والمغارات.

(١) الحكم العطائية، لعطاء الله السكندري، رقم ٤.

المحافظة على مقدّساتهم الدينيّة: كان أوّل عملٍ قام به عمر بن الخطّاب ﷺ بعد وصوله إلى بيت المقدس هو زيارة كنيسة القيامة، ولمّا حان وقت الصّلاة أبى عمر ﷺ أن يُصلّي في كنيسةِ القيامة؛ خوفًا من أن يظنّ المسلمون أنّها من حقّهم، وحرصًا منه على المحافظة على المقدّسات المسيحيّة؛ تنحّى جانبًا من الكنيسة، عند درج كنيسة القدّيس قسطنطين، وهو ما يُعرف الآن بالمسجد العمري، وصلّى بالمسلمين هناك.

وبعد أن صلّى بالمسلمين استشار كعب في مكان وضع المُصلّى، فأشار عليه بوضعه ناحية الصّخرة، وقام ﷺ بتنظيفِ الصّخرة وإزالة الأوساخ عنها، فلمّا رآه النّاس يُنظّف المكان، تبعوه وبدأوا بالتّنظيف معه، وبنوا هنالك المسجد، أمام الصّخرة، في الموضعِ الذي صلّى به رسول الله ﷺ إمامًا بالأنبياءِ ليلة الإسراء والمعراج.

المحافظة على أموالهم وحقوقهم: فقد ظهر حرصه ﷺ على أموالِ النّصارى عندما علم أنّ المسلمين قد أخذوا بستانًا للعنب كان ملكًا للرّوم، ولمّا رأى أنّ المسلمين قد أكلوا من ثمارِه؛ أحضر صاحب البُستان وطلب منه أن يقدّر ثمن البستان ودفعه إليه، فما كان منه إلّا أن دخل في الإسلام.

تنظيم كافّة الأمور بمختلف النّواحي: حيث بدأ عمر بن الخطّاب ﷺ بتنظيمِ أوضاع المدينة من مختلف النّواحي الاقتصاديّة، والسياسيّة، والإداريّة، والعمرانيّة، وقام بتوسيعها، واتّخذ كافة الإجراءات اللّازمة، ووَضع القوانين المناسبة وألزم النّاس بها، وقسّم المدينة وعيّن أميرًا على كلّ قسم منها، ونظّم البريد من أجلِ سهولة التّواصل بين هذه الأقسام، واتّخذ الشّرطة، وعيّن قاضيًا للفصلِ بين النّاس والتّفاعل مع شكاويهم، وأنشأ البلديّة من أجل مراقبة الأسواق ومَنع الغشّ والتّطفيف في المكيالِ والميزان، كما اعتنى بالنّظافة العامّة للشّوارعِ، وحثّ النّاس على التّجارة لإنعاش اقتصاد المدينة، واتّخذ التّاريخ الهجريّ تاريخًا رسميًّا.

عهدة عمر بن الخطاب ﷺ لأهل القدس: حرصَ عمر بن الخطّاب ﷺ من خلال بنود العُهدة على تحقيق العدل بين أفراد المجتمع، من خلال بيان الحقوق والواجبات، حتى يَنعم النّاس بالأمان والاستقرار، دون وقوع المشاكل بين أطراف المعاهدة. تُصنّف هذه العُهدة بأنّها ذات شفافية، لا مكان فيها للتحيّز إلى أي فئة على حساب الأخرى، ولا سُلطة فيها للقويّ على الضعيفِ، ولصاحب السُّلطة على مَن دونه، فقد نهجت مبادئ الإسلام وتعاليمه في نشرِ الإسلام بين النّاس وبيان سماحته. نصّت العُهدة على مجموعة من التّعاليم الّتي تتعلّق بالنّصارى، من حيث ممتلكاتِهم ومعتقداتهم، ممّا يدلّ بصورة واضحة على مدى اهتمام عمر بن الخطّاب ﷺ بهم وبإعطائهم حقوقهم، كما يدلّ على اهتمامِ الإسلام بتحقيق العدل[1].

في السّلوك

الإشارة: قال في الحكم: «لا يخاف عليك أن تلتبس الطّرق عليك، إنّما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك»[2] وقال البلخي: الطّريق واضح، والحقّ لائح، والدّاعي قد أَسْمَع، فما التّحيّر بعد هذا إلا من العمَى.

فطريق السّير واضحة لمَن سبقت له العناية، باقية إلى يوم القيامة، وكلّ ما سوى الله طاغوت، فمن أعرض عن

(١) انظر، المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، باب: غير المسلمين في المجتمع المسلم، ج١، ص٤٤١، والجامع الصحيح للسيرة النبوية، باب: العهدة العمرية، ج٤، ص١٧٥٣، والطبري في تاريخه، باب: ذكر فتح بيت المقدس، ج٣، ص٦٠٩، بتصرف.

(٢) ذكره إبن عجيبة في الحكم العطائية، ج١، ص٢٧١.

السَّوَى، وعلّق قلبه بمحبة المولى، فقد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها على طول المدى.

الإشارة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حيث تولّاهم بسابق العناية، وكلأهم بعين الرّعاية، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يخرجهم أولًا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ثمّ من ظلمات الحسّ ورؤية الأكوان إلى نور المعاني بحصول الشّهود والعيان، فافْنَ عن الإحساس ترَ عبرًا. «الكون كلّه ظلمة، وإنّما أناره ظهورُ الحَقِّ فيه» . أو تقول: الكون كلّه ظلمة لأهل الحجاب، وأمّا عند أهل المعرفة فالكون عندهم كلّه نور، وإنّما حجبه ظهور الحكمة فيه، «فمن رأى الكون ولم يشهد النّور فيه، أو قبله، أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار» . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾- هم الذين سبق لهم الشّقاء، وحكم عليهم بالبعد القدر والقضاء- ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ وهم القواطع: من الهوى والشّيطان والدّنيا والنّاس، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أي يمنعونهم من شهود تلك الأنوار السّابقة، إلى الوقوف مع تلك الظّلمات المتقدّمة، فهم متعاكسون مع مَن سبقتْ لهم العناية، فما خرج منه أهل العناية وقع فيه أهل الغواية. نسأل الله الحفظ والعافية في الدّنيا والآخرة.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ العبّاس، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ"[1]. (خَصْلَتَيْنِ) قيل اللّسان والنّفس.
- اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، ولا يَعِزُّ مَنْ عادَيْت، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ"[2] ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٦٣١٦، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن الحسن بن علي، حديث رقم: ٤٨٠٠، كتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، الحديث صحيح.